كليـــة التربية للعلوم الانسانية
College of Education for Human Sciences

ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية
Journal of Tikrit University for Humanities

Types of Encounter in the Poetry of Ibn Hamdis al-Siqali (d.527 AH)

Prof .Dr. Muhammad Hussein Tawfiq

\University of Tikrit\ College of Education for women

M. khalaf Ramadan Najras Al-Jubouri

\Ministry of Education \Directorate of Kirkuk Education.

* *Corresponding author: E-mail* :اميل الباحث

***Keywords*:**
In
fi
C
M
F

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 12 Sept. 2020
Accepted 8 Nov 2020
Available online 26 Nov 2020
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

A B S T R A C T

Intercourse is one of the most important wonderful colors that aroused the interest of scholars in the past. It is considered as a means of persuasion and proof of meaning and a means to seize the thought and convince the recipient of matters that he did not accept before because of its great impact in communicating the idea and confirming it through the deep connotations of the opposing words and an effective rhythm that gives the text strength and beauty. The poet Ibn Hamdis al-Siqali has ample luck from this type because of the literary richness in his poetic texts that the three environments (Sicily, Andalusia, and Morocco) provided to him in which he lived in the shadows and fluctuated between their midst, and when his life was full of experiences and experiences that the poet interpreted in his poetry. In this research, an emphasis is placed on contradictory correspondences, whether verbal, intangible, or synthetic, and the ideas and meanings they contain, and the rhetorical goals they achieve based on the principle of contradiction and the accumulation of opposing words, and the guidance they add to the text. In deepening the meaning, enriching the poetic text, and influencing the audience.This research focused on the presentation of poetic models based on the contrast between contradictory or contradictory expressions that carry the meaning of contradiction in their contextual significance, so the confrontation may be achieved in the case, not in the word.

© 2020 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.27.10.2020.04

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

أنواع التقابل في شعر ابن حمديس الصقلي (ت 527هـ)

أ.د. محمد حسين توفيق

م.م. خلف رمضان نجرس الجبوري

الخلاصة:

يعد التقابل أحد أهم الوان البديع التي أثارت اهتمام العلماء والدارسين قديماً ؛ إذ يعد التقابل وسيلة من وسائل الأقناع وإثبات المعنى ووسيلة للأستيلاء على الفكر وإقناع المتلقي بأمور لم يكن يسلم بها من قبل[1] لما له من أثر كبير في توصيل الفكرة وتأكيدها من خلال ما تحمله الألفاظ المتقابلة من دلالاتٍ عميقةٍ وإيقاعٍ مؤثرٍ يمنح النص قوة وجمالاً ، وكان للشاعر ابن حمديس الصقلي حظ وافر من هذا اللون

لما في نصوصه الشعرية من ثراء أدبي أمدته به البيئات الثلاث (صقلية ، والأندلس ، والمغرب) التي عاش في ظلالها وتقلب بين ظهرانيها ولما امتلأتْ بهِ حياته الحافلةِ بالتجاربِ والخبراتِ والتي ترجَمَها الشاعرُ في اشعارِهِ وعلى هذا الأساس سنعمل في هذا البحث الموسوم **(أنواع التقابل في شعر ابن حمديس الصقلي ت 527هـ)** على التشديد على التقابلات المتضادة لفظية كانت أو معنوية أو تركيبية وما تحتويه من أفكار ومعانٍ وما تحققه من غايات بلاغية قائمة على مبدأ التضاد وتراكم الألفاظ المتقابلة وما تضيفه على النص من توجيه يسهم في تعميق المعنى واثراء النص الشعري والتأثير في المتلقي.

وقد وقفنا في هذا البحث على ايراد نماذج شعرية قائمة على التقابل بين الألفاظ المتضادة أو التي تحمل معنى التضاد في دلالتها السياقية، فقد يتحقق التقابل في الحالة لا في اللفظ فـ((الصراخ في الأصل الصياح الشديد، إنْ أرسلهُ المضعُوف المُستَنْجدُ دلَّ على استغاثة وإنْ أرسلهُ القويُّ المُنجِد دَلَّ على إغاثة))[2]، ولن نقف عند تناول التقابل وايضاحه فحسب، بل اثبات فاعلية التقابل في بناء النصوص وفي تَقوية المعنى، ودوره في بناء الصورة الشعرية وجماليتها، مع مراعاة التقابلات السياقية ودلالاتها.

الكلمات المفتاحية : التقابل ، التضاد ، الطباق ، المعنوي ، التراكمي.

المقدمة :

توسع المفهوم اللغوي لمادة (تَقَابُل) على وفق ما جاء عند المعجميين وعلماء اللغة على أنه مصدر من(قبل) وذكرت المعاجم الأصل الثلاثي وعددت معانيه ، إذ أشار الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) إلى أنّ: ((القِبَلُ: من إقبالكَ على الشيء، تَقولُ: قد أقْبَلتُ قِبَلكَ، كأنَّكَ لا تريدُ غيرهُ . وفي معنى آخر هو التلقاء ، تقولُ: لَقيتهُ قِبلاً أي مُواجَهة))[3]. وَذكر ابن فارس (ت395هـ) معنى المواجهة ايضاً، قال: ((تدلُّ الكلمة كُلّها على مواجهة الشيءِ للشيء))[4]. أما ابن سيده (ت458هـ) فذهب إلى معنى المعارضة وليسَ المواجهة بقولهِ: ((قَابَلَ الشيءُ بالشيءِ مُقابلة وقبالاً: عَارَضَهُ))[5]. واكدَ الزمخشري(ت538هـ) معنى المواجهةِ قائلاً:((وأصبت هذا من قبلك أي من جهتك وتلقائك .ولقيته قَبَلاً وقُبَلاً وقِبَلاً : مواجهة وعياناً)) [6].

وأخذَ ابن منظور(ت 711هـ) بالمعنيين فقال: ((وقَابلَ الشيء بالشيءِ مُقابلة وقبالاً: عَارضهُ .... والمُقابلة : المواجهة ، والتّقابل مِثلهُ وهو قِبالكَ وقُبالَتَكَ أيْ تِجاهَكَ))[7]، وقد ورد التّقابل في القرآن الكريم بمعنى المواجهه قال تعالى: ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**﴾ [8]، وقد جاء في تفسير هذه الآية ((... لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض ، تدور بهم الأسرة حيث ما داروا ، فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين)) [9].

أما التقابل في الأصطلاح فقد وضعوا لها عدة تعريفات منها ما ذكره قدامة بن جعفر(ت337هـ) في المقابلة ((أن يصنع الشّاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض والمخالفة فيأتي في الموافق بما

يوافق وفي المخالف بما يخالف على الصحة أو يشرط شروطاً ويعدد أحوالاً في أحد المعنيين ، فيجب ان يـأتي فـي مـا يوافقـه بمثـل الـذي شـرطه وعـدده وفيمـا يخـالف بضـد ذلـك))[10]. وذكـر أبـو هـلال العسكري(ت395هـ) معنى الموافقة والمخالفه في تعريفه بقوله:((ايراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة)) [11] ، أما ضياء الدين بن الأثير(ت637هـ)، فيرى أنّهُ لا يمكن للحال أن يخلو من المقابلة إذ يُعرّف المقابلة بقولهِ:((هي الجمع بين الشيء وضده كالسواد والبياض والليل والنهار))[12]. ويفضل تسمية الطّباق بالمقابلة فإن الحال لا يخلو من وجهين أما أن يقابل الشيء بضده أو يُقابل بما ليس ضده . وعرف الخطيب القزويني(ت739هـ) المقابلة مؤكداً على التوافق والترتيب في المعاني بقوله: ((هي أنْ يؤتى بمعنين متوافقين أو أكثر ثم بما يقابل ذلك على الترتيب))[13]. وأما السيوطي(ت911هـ) فأكّد على تضاد الألفاظ حين قال: ((وهي أنْ يُذكر لفظان فأكثر ، ثم اضدادهما على الترتيب))[14].

مما تقدم يتبين أنّ التّقابل اصطلح عليه علماء البلاغة هو أن يؤتى في الكلام بمعنيين أو أكثر، ثم يؤتى بما يُقابل ذلك على الترتيب مع مراعاة توافر دلالة التّضاد فيها، فالتّقابل هو المواجهة وجهاً لوجه بين لفظين أو معنيين أو دلالتين، ولا يَقتَضي وجود علاقة ضدية بين المتقابلين فقد يتشابهان أو يختلفان أيضاً.

أولاً :التّقابل اللفظي البسيط (تقابل التّضاد):-

يعد التّقابل اللفظي أو البسيط من أكثر أنواع التّقابل وأكثرها وروداً في الشّعر لما له من أثرٍ وانطباع في نفس المتلقي ولحسنه ووضوحه وقرب مبتغاه في تحقيق ما يقصده المبدع ، والتّقابل اللفظي هو أن يقابل بين لفظتين متضادتين أو متناقضتين ، كمقابلة الحق بالباطل، والعز بالذل ، والموت بالحياة ، وهو التّقابل الأصلي البسيط[15]، ويكون التّقابل فيه بين اللفظة وضدها أو بما ليس ضدها كما يسميها ابن الأثير (ت637هـ) الذي لا يقبل بمصطلح الطباق قال :((والأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين إما أن يقابل الشيء بضده أو يقابل بما ليس بضده وليس لنا وجه ثالث)) [16]، وقد تكون اللفظتين متضادتين اختلافاً أو تناسباً بألفاظ حقيقية أو مجازية أو يكون التّضاد من ناحية الإيجاب والسلب.

ويرد هذا النوع من التّقابل في شعر ابن حمديس وهو يصف حاله بعد فراقه لصقلية التي لم يتلذذ بشبابه فيها بعد أن انهكه الفراق وبدده الحنين قال:

إذا أنا حاولت منها صباحاً تعرضت من دونها لي مساء

فلو انني كنت أعطي المنى إذا منع البحر منها اللقاء [17]

يُمنّي الشّاعر نفسه بلقاء بلدته صقلية التي لا يستطيع نسيانها، فهو يحاول ذلك صباحاً لكن في المساء تهيج ذكريات تلك الإيام فيحن الى الوصال ولكن هناك ما يمنع ذلك فهو في ديار بعيدة وتفصله عنها البحار فليس له إلا الأُمنيات التي تنتهي مع ظهور الصباح ، وقد أفادت جملة الشرط وجوابه الشّاعر في بنية البيت ، كما أعطته الفرصة لتشويق المتلقي في المتابعة لمعرفة جواب الشرط ، فأداة الشرط (إذا) تختص ((بدخولها على المتيقن والمظنون والكثير الوقوع)) [18] وهو اللقاء الذي كان يتمناه الشّاعر ، فاذا كان الصباح في اشراقه الذي يبعث على الأمل نجد الشّاعر يحاول النسيان ، ولكن عندما يحين المساء وتتجلى الهموم تهيج الذكريات في ليله البهيم المعتّم بالسواد ، فالتّقابل يأخذ بعداً معنوياً عميقاً يتجاوز حدود الألفاظ المعجمية إلى كوامن النفس التي تتجاذب الصراع بين الأمل المشرق واليأس المظلم ، لذلك نجده يترجم صورة اليأس في تقابل ضدي آخر بين (أعطي) والتي تعبر عن البذل لتحقيق أمانيه و (المنع) المحتم الذي جعل من البحر سبباً له دلالة على البعد وصعوبة في ركوب الأهوال (إذا منع البحر منها اللقاء)، فيعمد الشّاعر الى المقابلة بين (صباحاً / مساء ، أعطي / منع) وهو تقابل لفظي بين لفظتين متضادتين زادتا من تصوير حالته ومعاناته عمقاً وهو يسترجع ماضيه في شوق وأمنيات تعذر عليه تحقيقها بسبب صعوبة العودة والبعد.

ويظهر تقابل التّضاد أو التّقابل اللقظي عند ابن حمديس في الغزل ايضاً قال:

ما كانَ نأيي عن ذراك قلىً فيموتُ بعد حياتهِ الحبُ

إنّي لأرجو السلمَ من زمنٍ قامت على ساقٍ لهُ الحربُ[19]

يستعمل الشّاعر التّقابل اللفظي في قوله (يموت / حياته) لبيان مدى حبه لحبيبته وأنّ الحب كان عامراً منتعشاً بينهما في الوصال ، ولكن الفراق كان كفيلاً بأن يميت الحب فيقدم اعتذاره لها إذ لم يكن هذا الفراق بإرادته ولا يريد أن يموت الحب بينهما بهذا البعد، فيأتي في البيت الثاني بتقابل أخر بين لفظتي (السلم / الحرب) والتي تحمل دلالة الموت والحياة وكذلك فإنّ الحربَ سببٌ من أسباب الفراق خلافاً للسلم فـ((الشّاعر حين يجمع بين عواطفه ومشاعره في الحب والحياة ومشاعره في الموت والفناء إنّما يوظف حسه بهذا الطباق في صورة أدبية تُعدُّ عملاً فنياً خلاقاً تتحرك فيه الفكرة الأدبية بحرية وعفوية وقوة مثل تلك الفكرة قائمة على قوة ارتباط وتفاعل تينك العاطفتين وذينك الشعورين الحب والبقاء والموت والفناء، ومن تقابلهما وجهاً لوجه واندماجهما بفكرة واحدة يتكون مصدر الصّورة الشّعرية))[20] فاستعمل الشّاعر الفاظاً متضادة بسيطة لنقل أفكاره ومشاعره فالثنائيات المتقابلة هنا حملت دلالات نفسية وحسية نتيجة الفراق نقلها لنا بوساطة صورة الحرب على عكس ما رجا من أمن وطمأنينة.

ويستعمل ابن حمديس التّقابل اللفظي كثيراً في الغزل وذلك لأنه يمنح الشّاعر القدرة على التعبير عن أفكاره وعواطفه ومشاعره من خلال ما تثيره هذه المتقابلات من تناقض معنوي يعمل على توضيح المعنى ورسم الصّورة فالضد يظهر حسنه الضد ، ومن ذلك قال:

عَذّبْتِ رقّةَ قلبي ظلماً بِقسوَةِ قلبكْ

وَسِمتِ جسميَ سقماً وما شفيتِ بطبّكْ

أسخطْتُ كلّ عدُوٍّ رَضيتِهِ لِمُحبّكْ [21]

نلحظ في الأبيات الثلاثة تركيز الشّاعر على التّقابل بين الالفاظ المتضادة (رقة / قسوة ، سقم / شفاء /، أسخطت / أرضيت) ، فقد أقام الشّاعر موازنة بينه وبين حبيبته، فهو يسعى دائماً لوصالها والقرب منها يقابله سعيها إلى البعد والهجر، وهنا يظهر أثرَ تقابل التّضاد الذي من وظيفتهِ ((توليد طاقةٍ شعرية تثري النصّ بما تُثيرهُ من أحاسيس وصور وصولاً إلى المعنى والحالة التي يريد ايصالها إلى المتلقي)) [22]، إذ ساعد التّقابل بين تلك الألفاظ على إبراز الصّورة وبيان الفكرة التي هيمنت على النص والتي اراد الشّاعر ايصالها وهي معاناته من هجر الحبيب معبراً عن حالة الشعور الداخلي له وكذلك تغير حاله الحسي المادي الخارجي ؛ إذ أنعكست حالته النفسية ومعاناته الداخلية وما يعتصره من ألم على شكله وملامحه التي ظهرت عليه وبفعل هذا التّضاد توضحت الصّورة أكثر.

ويظهر التّقابل اللفظي في شعر ابن حمديس في قصائده في الزهد قال :

غرّتكَ دنياك التي لها شرابٌ يخدعك

يَضُرّكَ الحرصُ بها والزهدُ فيها ينفعك

لا تأمننْ منيّةً إنّ عصاها تقرعك

مَغرِبُكَ القبر الذي يكونُ منه مَطلَعُك

إنْ فَرّقَتك تربةٌ فاسهُ سوفَ يجمعك [23]

ويبدو ابن حمديس في هذا النص يقدم النصح والأرشاد من الأنجرار وراء ملذات الدنيا ومغرياتها وينصح بعدم الأمان من الموت الذي قد يفاجأ الأنسان في اي لحظة مشبها الحياة كيوم مدته طلوع الشمس وغروبها فيستعمل ابن حمديس التّقابل بين الالفاظ لبيان حقيقة الدنيا الفانية وغرورها من خلال الطباق البسيط في (يضرك/ ينفعك ، مغربك / مطلعك ، فرقتك / يجمعك) والتّضاد البسيط بين (الحرص/ الزهد) الذي اراد الشّاعر منه ايصال الفكرة بسهولة للمتلقي وبيان حقيقة الحياة الفانية من خلال ما تحمله تلك الالفاظ المتضادة من دلالات معنوية ، وكذلك أسهم التكرار الواضح في حرف (الكاف) في تقوية الإيقاع وربط الجمل إذ((إنّ التلاعب بالحروف والأصوات والكلمات وتكرارها وبناء الجمل وترابطها، يتطلب مهارة كبيرة من الشّاعر، فالأنسجام المتولد من علاقة الألفاظ فيما بينها، له أثر بالغ في تقوية الجرس الموسيقي للأبيات من جهة ، وتعميق المعنى من جهة أُخرى))[24]، والتي دلت على تمكن

الشّاعر من لغته وقدرته على اختيار الألفاظ وتكوين الجمل والربط بينها وبخاصة عندما يأتي بالطباق في بداية الشطر وفي خاتمته وعلى مدار ثلاثة ابيات.

إنَّ هذه الثنائيات التّقابلية اللفظية دلت على أنَّ ((الوظيفة التي يؤدّيها الشّعر إيحائية ـ انفعالية ـ جمالية)) [25] فقد أظهرَ الشّاعر براعته في توظيفها ، وتَحَقَّقت الجمالية في تَكثيف التّقابل اللفظي.

ثانياً : التّقابل المعنوي:-

ويقصد بهِ مقابلة الشيء بما ليس ضده في الأصل ، أي أن يقابل الشيء بضده من جهة معناه دون لفظه؛ أو مقابلة معنى بآخر بحمل لفظ على معنى لفظ آخر لما بينهما من مقاربة وتناسب [26]، مثل قوله تعالى:﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [27]، فالتّقابل في قوله(كذّب وصدّق) و(اليُسْرَى و العُسْرَى) تقابل تضاد لفظي، أما في قوله (أعْطَى وبَخِلَ) فإنما هو تقابل معنوي، لأن معنى (أعْطَى) (كَرُم) فقابل (بَخِلَ) في معناه دون لفظه. ويأتي التّقابل المعنوي مفرداً بسيطاً، أو مركباً جملة بجملة[28] ، وقد ورد التّقابل المعنوي كثيراً في الفاظ ليست متضادة في الأصل في شعر ابن حمديس لما في هذا النوع من التّقابل من إعطاء الصّورة الشّعرية جمالية فنية تجذب انتباه المتلقي وتقربه من المعنى المقصود والفكرة التي يريدها الشّاعر، ومن الأمثلة على هذا النوع من التّقابل قول ابن حمديس:

فارقتكم وفراقكم صعبُ لا الجسم يحمله ولا القلب

قُتِلَ البعاد فما أشير به حتى تمزق بيننا القرب[29]

فالشّاعر يصف ما آلت اليه حاله من الفراق والبعد عن الأحبة وينفي قدرته على تحمل الفراق فلا الجسم يتحمل عناءهُ ، ولا القلب يطيق المهُ ، فقابل بين ما يصيب الجسم من نحول وخمول حتى نراه لا يحتمل الفراق ، والقلب الذي لا يحتمل ألم الهم والحزن ؛ إذ صعب عليه فقابل بين (الجسم والقلب) والجسم ليس مقابلا للقلب بل للروح إذ ((إن من معطيات بناء الأسلوب في تقابل التضاد المعنوي بين المفردات تشمل الرابط من حيث اجتماع المتقابلين في رابط واحد وتوزيعهما على رابطين ويظل معنى المواجهة متخللا في البناء)) [30] وهو ما يصيب القلب من ألم الفراق والذي جاء به على سبيل التّقابل المعنوى لأظهار مدى شدة الشوق من ذلك الفراق ثم جاء بالتّقابل البسيط لتوكيد ما يمر به من الم الفراق وصعوبته في قوله (قتل البعاد) و (وتمزق القرب) فلا أمل للقاء مرة أخرى ، فاعتمد الشّاعر في تصويره لحالته النفسية والجسدية وما آلَت اليه بسبب البعاد وصفاً يشوبه الحزن والأسى بعد الفرح ، على الثنائيات المتقابلة المتضادة لفظياً و معنوياً.

ويرسم لنا الشّاعر صورة رائعة يعبر فيها عن شوقه للحبيبة مستعملاً التّقابل المعنوي في قوله:

وَجْدٌ عن الدمعِ فضَّ الختمَ فانسكبا بهِ اردتُ خمودَ الجمرِ فالتهبا

وما تَيَقّنْتُ أنّ الماءَ قبلهما يكونُ للنارِ ما بين الحشا حطبا[31]

فالشّاعر رسم صورة لانسكاب دموعه فقابل بين (خمد والتهب) و (الماء والنار) ، فقد اراد من سكب دموعه اطفاء نار الشوق التي تغلي في صدره إلا أن انحدار الدمع أجج المشاعر والأشواق بدلاً من اخمادها والذي شبهه بالقاء الحطب في النار، ولعل((بناء التّقابل في سياقه التّقابلي يشكل علاقة وطية بالسياق وذلك أن السياق يرتبط بالتّقابل على أساس التأكيد والإثبات)) [32] وهذا ما دل عليه التّقابل المعنوي في صورة انسكاب الدمع الذي شبهه بالماء مرة وبالحطب مرة أخرى حسب ما يقتضيه السياق.

ودائماً ما يصور ابن حمديس حنينه وشوقه إلى لقاء الأحبه وتفائله بأن القادم أفضل ، فيكون التّقابل خير وسيلة يصور بها تلك المشاعر والأحاسيس ، فله يمدح الأمير أبا الحسن علي بن يحيى بقوله:

فمتى يفلُقُ عن ابصارها هامة الليل من الصبح عمود

وارى ما اسود من قار الدجى ذاب منه بلظى الشمس جمود[33]

يرسم الشّاعر صورة استعارية فنية تشخيصية لإنبلاج الصباح وأفول الليل اعتمد فيها على التّقابل في قوله (هامة الليل وعمود الصبح) فهو ينتظر قدوم الصبح بفارغ الصبر وكأن للصبح عمود وهو النور الذي يفلق به هامة الليل أي ظلامه الطويل ليعلن عن يوم جديد يسعد فيه بملاقاة الأمير الذي تطيب الإقامة في جواره وتتبدل احوال من جالسه وكذلك يبدل ضوء الشمس وطلوعها سواد الليل وعتمته فيأتي بصورة رائعة للتقابل في البيت الثاني (اسود من قار الدجى) و(بلظى الشمس جمود) تبين مهارة الشّاعر في رسم صورة بصرية محسوسة لليل الراحل والصباح القادم ، ذلك أن تشكيل الصّورة البصرية أكثر حضوراً واستثارة بين الصور الحسية لإنها تدخل الى شعور المتلقي وفكره ، وتطلق طاقاتها الإبداعية ليحلق خيال المتلقي فيتصور أنه يبصر تلك الصّورة بكل جزئياتها[34]، تلك الصّورة التي تحمل في طياتها ذلك الأمل الذي طالما حلم به الشّاعر في العودة الى وطنه صقلية، هذه الصّورة الفنية زادت المعنى قوة والشعر جمالاً وروعةً من خلال استثمار التّقابل المعنوي.

ومن التّقابل المعنوي دعوة الشّاعر إلى الألتزام بالشرع وتعاليم الدين وعدم التهاون في العبادات قائلاً:

خُذْ بالأشدّ إذا ما الشرع وافقهُ و لا تمِل بك في أهوائكَ الرُّخَصُ

ولا تكن كبني الدنيا ، رأيتُهُمُ إن أدبرت زهدوا أو أقبلت حرصوا[35]

مزج الشّاعر بين التّقابل اللفظي والمعنوي ففي البيت الأول جاء بتقابل معنوي في قوله (خذ / تمل ، الأشد / الرخص) فهو يدعو إلى الأخذ بأشد الأحكام إذا كانت موافقة للشرع فهي تزيد الأيمان والألتزام بالدين ولا تتهاون في ذلك وتميل إلى ما يوافق الأهواء والتي تضعف الأيمان وتشغل الأنسان عن العبادة

وتصرفه إلى حب الدنيا وملذاتها ، ثم نجده في البيت الثاني يؤكد ذلك بتقابل لفظي بين الأفعال (أدبرت / أقبلت ، زهدوا / حرصوا) فهو ينهى عن الحرص على الدنيا والسعي وراء ملذاتها والتهاون في أمور الشرع وفرائضه ، فقد أدّى التّقابل إيقاعاً واضحاً ، عمّق من دلالة النّص وأكثر تأثيراً في نفس المتلقي.

إنّ ظاهرة التّقابل المعنوي ((تؤدي وظيفة فنية جوهرية داخل العمل الأدبي لا خارجه ... إذ أنها في هذه الحال ، تعمل على تعميق المعنى في الشعر وخلق الدرامية)) [36] وهذا ما عمد إليه الشّاعر من أجل تعميق دلالة المعنى وترسيخه في نفس المتلقي وجذبه للغوص في المعاني وإعمال الفكر في فهم النّصوص واستنباط خباياها.

ثالثاً : التّقابل التراكمي:

التراكم في اللغة ((رَكَمَ الشيء يَرْكُمُه إذا جَمَعه وأَلقى بعضه على بعض)) [37]، أمّا في الإصطلاح هو ما زاد على تقابلين احدهما في صدر البيت والآخر في عجزه[38]، والتراكم اللفظي أحياناً يدل على الصنعة والتكلف أكثر من كونه طبعاً، فالشّاعر يتعمد بحرفتهِ وقدرتهِ وسعة اطلاعه وثقافتهِ المعجمية إلى صناعة المُتقابلات المُتراكمة مُتضادة أو مُتشابهة أو مُتخالفة[39]، فاعتماد الشّاعر على هذا النوع من التّقابل لما له من قدرة على ابراز جمالية الصّورة في النصوص الشّعرية وتقريبها من ذهن المتلقي.

وللتقابل التراكمي اشكال كثيرة ومتنوعة وردت في شعر ابن حمديس اتكأ عليها في رسم صوره الشّعرية ، ومن الأمثلة على هذا النوع من التّقابل قوله:

وكل جدبٍ له الانواء ماحيةٌ وجدبُ جسمي لا تمحوهُ أنوائي

إني لجمرُ وفاءٍ يُستضاءُ بهِ وأنتِ بالغدرِ تختارين إطفائي [40]

يرسم الشّاعر صورة لعلاقة تناقضية بينه وبين حبيبته معتمداً على التّقابل القائم على النفي والإثبات في البيت الأول (ماحية / لا تمحو) فكل جدب يمحوه المطر إلاّ جدب شوقه للحبيبة التي لا تروي ظمأ أشواقه لشحة سؤالها عنه ووصالها له، ثم يؤكد الشّاعر سوء العلاقة بينه وبين حبيبته في البيت الثاني من خلال التّقابل التراكمي في (إني / أنت ، وفاء/ غدر ، يستضاء / إطفائي) فكانت تقابل وفائه بالغدر و اللامبالاة وعدم والأهتمام به وهي بهذا التصرف تطفئ لهيب الأشواق ولواعج الحب لديه ، فساهم التّقابل التراكمي في رسم صورة المعاناة لدى الشّاعر من هجر حبيبته له من خلال التضاد في الألفاظ المتقابلة في النص لما يحمله التضاد من دلالة على الخلاف[41]، وهذا مذهب اغلب الشعراء في تعاطيهم مع الهجر وعدم الوفاء، ومن هذا المعنى قال:

فؤادي نجيبٌ والجلالُ نجيبُ فأبْعدُ مطلوبٍ عليّ قريبُ

وإنْ أجدبَتْ عند الفتاةِ إقامتي فمُرتَحَلي عند الفلاةِ خصيبُ[42]

نلاحظ التّقابل في البيت الأول بين (ابعد / قريب) الذي يوضح صورة الفراق عن الأحباب الذي لم يكن باختياره فهم بعيدون جسداً ولكن مكانهم قريب بمنزلة القلب من الجسد، اما البيت الثاني فقد تكون من مجموعة ألفاظ متضادة شكلت تقابلاً تراكمياً بين (أجدبت / خصيب ، إقامتي / مرتحلي) والجناس بين (الفتاة / الفلاة) ، فأسهمت هذه التّقابلات في بيان حال الشّاعر، فهو وإن عزّ عليه اللقاء والإقامة فلا زال قلبه عامراً بذكرهم حتى بعد رحيله عنهم ، فتراكم الألفاظ المتقابلة يعني زيادة في المعنى وتعميق الدلالة[43] وتأدية المعنى المطلوب وايصال تجربة الشّاعر إلى المتلقي من خلال ما تموج به هذه الابيات من تناقضات معنوية تعبر عن تناقضات في نفس الشّاعر

ومن أجمل صور التراكم التّقابلي والتي جمع فيها الشّاعر بين التّقابل اللفظي والمعنوي قوله في المدح :

ونلتَ سعادةً ، ما اسودَ ليلٌ وعينَ كرامةٍ ، ما ابيضَ صبحُ

فرفغُ النجم في علياك خفضٌ وفيضُ البحر في نعماك رشحُ[44]

كشفت لغة التضاد في هذين البيتين عن مكانة الممدوح وعلو شأنه وعظيم قدره ففي البيت الأول(نلت سعادة / عين كرامة ، أسود / ابيض ، ليل / صبح) من خلال التناسق بين لفظتي (سعادة / كرامة) المتقابلتين معنوياً من حيث مشابهة الدلالة والصفات بين السعادة والكرامة لأنها شيم فخر ومدح مع ما يليهما من تقابل لفظي قائم على الطباق بين (أسود/ ابيض ، وليل / صبح) والذي حافظ على التوازن بين الألفاظ وما تؤديه من معنى ، وجاء البيت الثاني موضحاً لصورة الممدوح في البيت الأول ومؤكداً لها من خلال التناسب والتوازن بين الآلفاظ والمعاني لأن خصيصة التّقابل المتضاد والتوازي في الشعر تكسبه صفتين متضافرتين هما الانسجام والتنوع في الوقت نفسه[45] وهذا ما جعل من النص لحمة متماسكة منسجمة دالة على المقصود ، فكانت التّقابلات (رفع/ خفض ، فيض / رشح) فنجد التّقابل اللفظي بين (رفع / خفض) النجم والتي بين من خلالها علو منزلة الأمير ، ويقابلها (فيض / رشح) البحر بين من خلالها كرم الأمير وجوده، فيكون التّقابل في الشطر الأول مقابلة بين صورة الممدوح والنجم لبيان مكانة الممدوح وعلو شأنه ، والشطر الثاني بين الممدوح والبحر فجعل كرم البحر لا يقارن بكرم ممدوحه .

إنّ التناسب والتوازن بين الألفاظ والمعاني أكسبت النص دلالات عميقة ومنحت المتلقي بعداً فكرياً لفهم أبعاد النص ورؤيا الشّاعر.

وغالباً ما كان الشّاعر يتكأ على هذا النوع من التّقابل لسبك المعنى والوصول إلى الدلالة المرجوة من ذلك قوله:

بأرضٍ دحاها الكرى بيننا ننالُ الأمانيّ فيها احتكاما

فلا بَسَطَ الصبحُ فيها الضياءَ ولا قَبَضَ الليلُ عنها الظلاما[46]

فنلحظ أنّ البيت الثاني عبارة عن لوحة تقابلية تراكمية بكل ما فيها من الفاظ فقابل بين الأفعال (بسط / قبض) ، وبين الأسماء (الصبح / الليل ، الضياء / الظلام) ، وبين الحروف (فلا / ولا ، فيها / عنها) ، فقد أعمل الشّاعر فكرهُ لرسم اللوحة التي يراها في ذهنه عن طريق التّقابلات الضدية فالفكر ((يعتمد في نشاطه على الثنائيات الضدية وحوار الحدود المتقابلة والمتباينة وهو ما يسمى الفلسفة الجدلية)) [47] فحملت هذه التّقابلات منحى من مناحي البديع الذي تميز – في الأغلب – على الإبتكار والجدة في الإيقاع بنوعيه الداخلي والخارجي.

يتبين مما تقدم أنّ الشاعر طرق أنواع التقابل في رسم صوره الشعرية ، فالتّقابل اللفظي البسيط (الطباق) أو تقابل التّضاد له أهمية بالغة في التعبير البلاغي ، فهو يعرض الأشياء واضحةً من خلال ذكر ضدها وبضدها تتميز الأشياءُ ، وكذلك التقابل المعنوي فإنها بينت قدرة الشّاعر على توظيف تقانات التّقابل توظيفاً جمالياً، فضلاً عن كونه محسناً بديعياً يسهم في إبراز جمالية الإيقاع الداخلي والخارجي للنص الشّعري ، واستعمل التّقابل التراكمي بشكل كبير في تشكيل صوره الشّعرية لما في هذا النوع من التّقابل من ايحاءات ودلالات تسهم في رسم ما يجول في فكر الشّاعر واحاسيسه كما أنها تحتاج إلى جهد في التأويل والتفسير لأن قدرة الشّاعر تعتمد فيها على الصنعة والأبتعاد عن الطبع والمهارة في رصف البديع.

الهوامش:

[1] ينظر : الخطابة : أرسطو طاليس ، ترجمة عبدالرحمن بدوي ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، لبنان، دار العلم : 152 .

[2] نظرات في علم الدلالة "الألفاظ عند أحمد بن فارس (ت395هـ) اللغوي": د. غازي مختار طليمات، حوليات كلية الآداب، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد(11)، 1989 -1990، ص: 35.

[3] كتاب العين، تح: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر ، ط1، 1982م، مادة (قَبَلَ).

[4] معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ط1، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1368هـ، مادة (قَبَلَ).

[5] المحكم والمحيط الأعظم ، تح: د. مراد كامل، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، مصر، 1391هـ، 1971م، مادة (قَبَلَ).

[6] أساس البلاغة ، تح: عبد الرحيم محمود، عرّف به: أمين الخولي، مطبعة أولاد أورفايز، القاهرة، ط1، 1372هـ – 1953م: 218 .

[7]لسان العـرب ، دار صادر، بيروت ، 1375هـ – 1956م : مادة (قبل).

[8] الحجر : 47 .

[9] تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(ت 745هـ) : تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض، د.زكريا عبد المجيد النوقي ، د.أحمد النجولي الجمل دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – 1422 هـ – 2001 م ،ط1: 445/5 .

[10] نقد الشعر: تح: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان،(د.ت):141.

[11] كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ، تح : البجاوي وأبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، البابي الحلبي، ط1 ، 1952م : 371 .

[12] الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور : حققه وعلق عليه : د. مصطفى جواد ، د. جميل سعيد ، بغداد ، 1402هـ – 1981م : 211 .

[13] التلخيص فـي علوم البلاغة ، تح : عبد الرحمـن البرقوفـي ، القاهرة ، ط2 ، 1350هـ –1932م : 352 .

[14] الاتقان في علوم القران: تح : محمد أبو الفضل ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1394هـ –1974م: 3 /327.

[15] التقابل الدلالي في القرآن الكريم : 17 .

[16] المثل السائر فـي أدب الكاتـب والشـاعر ، تـح : محمد محيـي الـدين عبدالحميـد ، المكتبـة العصـرية – بيـروت ،(د.ط)، 1995م : 2/ 265 .

[17] ديوانه : 4 .

[18] الإتقان في علوم القران : 2 / 178 . وينظر معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط1 ، 1420هـ - 2000م : 4 / 73 .

[19] ديوانه : 8 .

[20] التحليل النقدي والجمال الأدبي: د. عناد غزوان ، دار آفاق عربية ، بغداد ، ط1 ، 1985م : 75 .

[21] ديوانه : 23 .

[22] الثنائيات المتضادة في النواحي الأخلاقية في شِعر زهير بن أبي سلمى ، نـرجس حسين زاير، مجلة (مداد الآدب) ، العدد الرابع ،2002م : 185-186.

[23] ديوانه : 348 .

[24] شعر المقاومة في الأندلس ، زياد طارق العبيدي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 2003 م : 17 .

[25] رماد الشعر (دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق) : د. عبد الكريم راضي جعفر، دار ومكتبة عدنان ، بغداد ، ط2، 2014 م:200.

[26] ينظر : التقابل الدلالي في القرآن الكريم : 17 .

[27] الليل : 5-10 .

[28] ينظر: المثل السائر : 2 / 281 .

[29] ديوانه : 8 .

[30] التقابل والتماثل في القران الكريم : 138 .

[31] ديوانه : 9 .

[32] التقابل والتماثل في القران الكريم :141.

[33] ديوانه : 155 .

[34] ينظر الشعر والتجربة : ارشبليد مكلبش ، ترجمة .توفيق صالح ، دار اليقظة العربية ، بيروت ، 1963 م : 69 .

[35] ديوانه : 290 .

[36] دراسة في المعاني والبديع : شفيع السيد ، مكتبة الشباب ، القاهرة (د.ت) : 95 .

[37] لسان العرب : مادة (ركم)، وينظر : المفردات في غريب القران ، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(502 هـ) ، تح : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت-لبنان ، (د.ت)، (د.ط) : 203 .

[38] ينظر : بنية التقابل في الشعر المملوكي : 110 .

[39] ينظر: التضاد في البحث النقدي والبلاغي عند العرب: د . أركان حسين مطير العبادي ، الروسم للصحافة والنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1 ، 2015م : 391 - 392.

[40] ديوانه : 2 .

[41] ينظر: معجم المصطلحات البلاغية : 2/ 254 .

[42] ديوانه : 38 . والنجيب (الرجل الكريم ذو الحسب والنسب)، و (الجلال : العظيم والرجل ذو القدر الخطير)ينظر لسان العرب مادة (نجب ، جلل).

[43] ينظر : الأدب والدلالة : ت. تودروف ، ترجمة : د. محمد نديم خشفة ، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1996م : 13.

[44] ديوانه : 108 .

[45] يُنظر : قضايا الشعرية: رومان جاكبسون ، ترجمة : محمد المولى ، ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، 1988م : 106 .

[46] ديوانه : 453 .

[47] مصطلح الثنائيات الضدية (بحث): د. سمير أيوب ، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد /1 ، المجلد /41، 2012م :99.

Sources and References:

- Movement in the Sciences of the Koran: Jalaluddin Sultoui (911 e), Hoop: Mohammed Abu Al-Fadl Ibrahim, Egyptian General Tradition body for the book, 1394 e 1914 m.
- Literature and Indication: Todroff, Dictionary. Mohammed Nadim khashfa , Civil Development Center, Aleppo, I 1, 1996m.
-Basic Rhetoric. Abo Al-Qasim Zamkhshri, Ho: Abdul Rahim Mahmoud, known as: Al-Khuli, Princess O'Brif Press, Cairo, I 1, 1372 H. 1953 m.
-Confluence structurein Mamluk's poetrhy:Phd thesis by : Nayef Mahmoud Abdullah, in the supervision of d. Saleh Ali Hussein Al-Majmli, Dr. Juma Hussein Al Bayaty, Tikrit University / Faculty of Education for Humanities, 2016m .
-Cashiery and literary beauty: d. Annd Ghazwan, Arab Overview, Baghdad, I 1, 1985 m.
-Cash in the cash and alternative search at the Arabs: Dr. Arkan Hussein Mather Al Abadi, Al Rums for Press, Publishing and Distribution, Jordan, 1 1, 2015.

-Interpretation of Quran (the ocean sea):Mohammed Bin Yusuf Al-Shahiri in Abayan Handan Al-Andalusi (7/5 he): Ho:Sheikh Adel Ahmed Abdul Mogad, Sheikh Ali Mohammed Mawad Al-Shaw, Dr. Akhari Abdel Majid Nuki, Dr. Ahmed El Njuli Al-Jamil . Scientific book house - Lebanon - 1 – 1402h, 2001m.
-Division of the Doll in the Quran: Dr. Manal Salah al-Din, Dar Al-Affairs Cultural, Baghdad, I 1, 2013.
-Cheap in the scallost science, Jalalin Din Ben Khatib al-Qawezi (739 he): 0: His Excellency: Abdulrahman Al - Burqouv, Cairo, 2, 1350 AH.
-Meter in the ethical residents in Zhirir bin abi Salma, Nargis Hussein Zayer, Magazine (Madad Foundation), IX, 2002m.
-The great reality in the industry of the speaker of spermor: Jalaluddin Sultio (911 e) and has commented on: Dr. Mustafa Jawad, Dr. Jameel saeed, Baghdad, 1402H - 1981 m.
-The speech. Aristotle Talais, translation of Abdulrahman Badawi, Kuwait, Publications Agency, Lebanon, Dar Al-Alam.

-In the meanings and burds: Shafia Al-Sayyed, Youth Library, Cairo
-Diwan Ibn Hamdis ALSicile (527h)r.: ADF. Ihsan Abbas, House of Sadr, Beirut.
-Importe portr (studying in the substantive and artistic structure of modern fisheries in Iraq): Dr. Abdul Karim Radi Jaafar, Dar and library Adnan, Baghdad, 2, 2014m.
-Resistance poetry in Andalusia, Ziad Tariq Al Obaidi, Master of Masc., Faculty of Arts, University of Baghdad, 2003m.
- Poetry and Experience:Archbild Makbalsh, translation Tawfeeq salh, Arab Awakening house, Beirut, 1963m.
-Issues of the poetic: Roman Jackson, Dictionary of Mohammed Al Mawla, Mpark Hanoun, Dar Education, Publishing, Morocco,1988 m.
-Book of the industrialists(Writing and poetry), Abu Halal Al- Askary (395H) Hoop: Albawi and Abu Al-Fadh Ibrahim, Cairo, Al Babi Al Halabi, I 1, 1952 m.
-Book of Eye, Alkhalel Bin Ahmed Al Fruhadi (175H) Hot: Dr. Mahdi Al-Mazhami and Dr. Ibrahim Samurai, Dar Al Rasheed Publishing, I 1, 1982 m.
-ArabnTongue (Ibn Mandor 711 e), House of Sadr, Beirut, 1375 - 1956 m.
-Reply by the fortune in the writers of the writer and poet, Diaa El Din Bin Al-Ether (637 e), Hoop: Mohammed Mohiid El Din Abdul Hamid, Modern Library - Beirut, (LTD), 1995 m.

-Your omus and the ocean of the best, Abo al-Hassan bin Sidah (458 e), hover: d. Murad kamel, Mustafa Al Babi Al Halabi Protection and Sons, I 1, Egypt, 1391H, 1971 m.
-Term Antibody binaries. (search): d. Samir Ayoub, Magazine of the World of Thought, National Council for Culture, Arts and Literature, Kuwait, No. 1, Volume / 41, 2012m.
- Meanings of grammar: Fadel Saleh Samurai, Dar Al-Fakr to print and publishing, I 1, 1420H - 2000 m.
-The size of the science and development of the rigidity, d. Ahmed Matlob, the Iraqi Scientific Press Printing, 1406H - 1986.
- Language Mastering Masculus: Abu Hussein Ahmed Bin Fares Bin Zakaria Al Razi (395H) Ho: Abdel Salam Mohammed Haroun, I 1, Dar i Al ahea the books Arabic, Issa Al Babi Al Halabi, Cairo, I 1, 1368 e..
-The slopes in the strange of the Quran, Abi Qassem

Hussein Bin Mohammed, known as the faithful, the most of the beaches of the Ishajani (502 he), humidary: Mohammed Sayed Kilani, Karrad Kares, Beirut-Lebanon.
- Attachments in the flag . Ahmed Bin Fares (395H) Language:" Ghazi Mokhtar Talmat, League of Faculty of Arts, Scientific Publishing Council, Kuwait University, Number of (11, 1989-1990m.
-Criticism of poetry : kodama bin Jaafar (337 he): Doctor Mohammed Abdel Moneim Khafaji, Scientific Books House, Beirut Lebanon.